



همسات قبل رمضان

من خلال السنة

خطبة جمعة

2026-02-13

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، عني كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد فيا أيها الإخوة الكرام: لزمانا كنت مُرتباً وجاءك شاب قد تعلق قلبه بالمعاصي والآثام، ولازمها حتى تمكنت منه، وحالت بينه وبين عبادته، فأخذت تُبني له فُج المعصية ودناءتها، وأن الله إنما حَرَّمَ المعاصي صيانةً لنفسك، وأن الله لا يُحَرِّم إلا شيئاً خبيئاً تخبث النفوس به، حتى إذا وجدت قلبه، قد خفَّ تعلقه بالمعاصي والآثام، بدأت بملء قلبه بمكارم الأقوال والأفعال.

التخلية والتخلية معاً لا بُدَّ منهما:

أيها الإخوة الكرام: هذا الفعل يُسمَّيه بعض العلماء التخلية والتخلية، بمعنى أنك إذا أردت أن تملأ كأساً، بشراب عذب لذيق، لا بُدَّ أولاً أن تُنظف الكأس، فتطفي الكأس من الأوساخ تخلية، وملؤه بالشرب اللذيذ تخلية، ولا بُدَّ من الأمرين معاً، وكانوا يقولون: التخلية قبل التخلية، وأقول: التخلية والتخلية معاً، لأن كلا منهما شرط ونتيجة، بمعنى أن تخلية القلوب من أمراضها، سبب لتخليتها فيما بعد بالخير، وهو نتيجة حتمية لملئها بالخير، وكذلك فإنَّ تخلية القلوب بمكارم الأقوال والأفعال، تُخليها من الأشياء السيئة وتطرد الأفعال الدنيئة، فالتخلية والتخلية معاً لا بُدَّ منهما.

أيها الإخوة الكرام: القرآن الكريم يستخدم هذا المنهج في كثير من آياته، في الخطبة السابقة تَلَوْنَا قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ۚ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالْمَلَأُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)

(سورة البقرة)

(قَمَنْ يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ) هي التخلية، أن تُخلِّي قلبك من التعلُّق بما يُعَبِّد من دون الله، (وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ) هي التخلية، قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)

(سورة التوبة)

التطهير هو التخلية (وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا) تنمو نفوسهم بها، والتزكية هي التخلية، فالتخلية والتخلية لا بُدَّ للمؤمن منهما معاً.

ينبغي أن نسعى لتخلية النفس من الذنوب والشواغل والشحناء قبل رمضان:

أيُّها الإخوة الكرام: نحن على أعتاب رمضان، وينبغي أن نسعى فيما تبقَّى من شعبان، إلى تخلية النفس من الذنوب والشواغل والشحناء، حتى إذا جاء رمضان كانت نفوسنا طاهرة، مُسْتَعِدَّةً لتلقِّي خيرات وبركات هذا الشهر الكريم وهذا الضيف الكبير.

مما يلفت النظر، أنَّ شهر شعبان كما قال صلى الله عليه وسلم:

{ قلْتُ يا رسولَ اللهِ لم أَرَكَ تصوِّمَ شهرًا منَ الشهورِ ما تصوِّمُ منَ شعبانَ؟ قال: ذلكَ شهرٌ يَغْفِلُ الناسُ عنه بينَ رَجَبٍ ورمضانَ وهو شهرٌ

تُرْفَعُ فيه الأعمالُ إلى ربِّ العالمينَ، فأَجِبُ أن يُرْفَعَ عَمَلِي وأنا صائمٌ }

(أخرجه النسائي وأحمد)

لماذا تُرفع الأعمال إلى الله في شعبان؟

لماذا تُرفع الأعمال إلى الله في شعبان؟ يُريد الله منك في هذا الشهر، أن تُكثِرَ من الأعمال الصالحة، أن تُطَهِّرَ نفسك، حتى يُرفع عملك إلى الله تعالى وأنت في أحسن حال، فإذا جاء رمضان، كنت مع الله منذ بداية رمضان، في صفحةٍ جديدةٍ لا مجال فيها إلا لأن تُملأَ بالخير والبركات.

وأنَّ مما يلفت النظر أيضاً، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سَنَّ الإكثارَ من الصيام في شعبان، ولمَّا يأتي شهر الصيام من أجل تخلية النفس، ومن أجل طرد ما في النفوس من التعلُّق بغير الله تعالى.

أيُّها الإخوة الأحباب: يُريد الله ممَّا ألا يأتي رمضان إلا والقلوب سليمة، لذلك:

{ إِنَّ اللَّهَ يَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ التَّصَفِّيِّ مِنْ شَعْبَانَ فِيغْفِرُ لَجَمِيعِ خَلْقِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ }

(أخرجه ابن ماجه بلفظه وابن أبي عاصم في السنة والدارقطني في النزول)

لا يُغْفَرُ لِمُشْرِكٍ وهذا مفهوم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)

(سورة النساء)

لماذا يُرَبِّطُ بين المُشْرِكِ والمُشَاجِنِ في مغفرة الذنوب؟

فالمُشْرِكُ قد أخطأ التوجُّه، توجَّه إلى غير الله تعالى، فلا يُعَقِّرُ له، أمَّا أنه لا يَغْفِرُ لِمُشَاجِنِ فشيءٌ يَلِفُ النظر، أن يُرَبِّطَ بين المُشْرِكِ والمُشَاجِنِ في مغفرة الذنوب! لماذا؟
أَيُّهَا الإخوة الكرام: أَعِيدُوا أَكْثَرَ، لأنَّ الله تعالى يُريدُ مِنَّا في شعبان وقبل رمضان أن نَطْهَرَ نفوسنا، ألا ندخلُ إلى رمضان إلا بصدورٍ سليمة وقلوبٍ طاهرةٍ نَقِيَّة.
أَيُّهَا الكرام: يقول صلى الله عليه وسلم:

{ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحَاءٌ، فَيَقُولُ: أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا، أَنْظِرُوا هَذِينَ حَتَّى يَصْطَلِحُوا }
(أخرجه مسلم)

(أنظروا) أي أمهلوا، تؤخَّرُ مغفرة الذنوب عنهما حتى يصطلحا.
أَيُّهَا الكرام: عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه:

{ حَرَّحَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنُخَيْرَتَا بَلَيْلَةِ الْقَدْرِ فِتْلَاخَى رَجُلَانِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: حَرَّحْتُ لِأَخِيرِكُمُ بَلَيْلَةَ الْقَدْرِ، فِتْلَاخَى فَلَانٌ وَفُلَانٌ، فَرُوعَتْ وَعَسَى أَنْ يَكُونَ خَيْرًا لَكُمْ، قَالَتِمُسُوهَا فِي الثَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ {
(صحيح البخاري)

ليلة القدر ليلةٌ من ليالي رمضان، في العشر الأخير من رمضان، فَرُوعَتْ ليلة القدر ولم يعلم الناس موعدُها، السبب أنَّ رجلين من المسلمين تلاحيا، تخاصما، فقال: (وعسى أن يكونَ خَيْرًا لَكُمْ، قَالَتِمُسُوهَا فِي الثَّاسِعَةِ، وَالسَّابِعَةِ، وَالْخَامِسَةِ) أي في التاسع والعشرين، والسابع والعشرين، والخامس والعشرين.

مُتَعَةُ الاستفزاز:

أَيُّهَا الإخوة الكرام: مبدأ المُشَاحَنَةِ بين المسلمين يبدأ من مُتَعَةٍ أَسَمَّيْهَا مُتَعَةُ الاستفزاز، هناك مُتَعَةٌ عند البعض في استفزاز الآخرين، ينتقي من الكلام أسوأه، مع أنَّ الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (53)

(سورة الإسراء)

أي إذا وجدت كلمةً حسنةً وأخرى أحسن منها، فدع الجسنة وخذ الأحسن منها (وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) لكن المُستفزين ينتقون العبارة الأسوأ، يفتح على التواصل الاجتماعي، ينظر أي عبارة أسوأ يمكن أن يُعلق بها، فيستفز الناس ويجعلهم يسيئون ويشتمون، فيختارها ثم يجلس ويتأمل في تعليقات الآخرين ويضحك، قال تعالى مخاطباً إبليس:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاسْتَغْرِزْ مَنِ اسْتَطَاعْتَ مِنْهُمْ بِضَؤُنِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64)

(سورة الإسراء)

الاستفزاز لغة إبليس اللعين:

الاستفزاز لغة إبليس اللعين، كيف تبدأ المُشاحنة؟ استفزاز، يستفز زوجته في البيت لُخرج أسوأ ما فيها، وتختار أسوأ وقتٍ لتستفز زوجها لُخرج أسوأ ما فيه، يدخل الموظف متأخراً إلى الشركة يوماً، وهو موظفٌ مستقيم، لا يتأخر إلا نادراً، ويؤدّي واجباته، يختار المدير أسوأ عبارة فيقول له: أنت لا تنفع لشيء، أنت أسوأ موظف، لم يأت منك إلى الشركة إلا كل شهر، بدلاً من أن يقول له: أنت موظفٌ جيد وأقدر عملك، لكنك تأخرت عن الدوام اليوم وهذا يُسيء لك ولعملك، الأولى مُستفزة يختارها والثانية لا تستفز فيتركها، يختار العبارة التي تستفز الآخرين.

يأتي إلى البيت وقد تأخّرت زوجته في إعداد البيت أو طبخ الطعام، يختار أسوأ عبارة ليستفزها بها، أنت لم تتربّي في بيت أهلِكَ كما يجب، يتكلم على أهلها، بعد عشر دقائق تقول له: طلقني فُطلقها، استفزّه الشيطان واستفزّها **(واستفزّر من استطلعت منهم يصونك)**.

فتبدأ الشحنة والله لا يغفر لمُشاحن، ولا يمكن أن ندخل رمضان ونحن نتشاحن، سمّوا أنفسهم السلفية، يُريدون أننا على منهج السلف الصالح، يأتي بأسوأ عبارة ويُسمّهم بها ويكتبها على الفيسبوك، أنتم السلفية أنتم النابتة، فيستفزه وتكون مشكله كبيرة، وهذا أخوك المسلم، وهذا يُسمّي نفسه أنه صوفي، بمعنى أنه يُريد صفاء القلب، فيأتي الآخر بأسوأ عبارة ويكتبها على الفيسبوك ويستفزه، ويظن أنه يفعل خيراً، نتشاحن وتباعد ونقيم العداوات، ثم يأتي رمضان ونريد أن نستقبله ويستقبلنا، وأن نفتح له أبوابنا، وأن يغفر الله لنا، إنّ الله لا يغفر لمُشرك ولا لمُشاحن.

لا تكن مُستفزّاً للآخرين وانصح بما تراه الحق:

بضع النبي صلى الله عليه وسلم المُشاحن مع المُشرك، طبعاً بينهما فرق كبير، لكن عطف هذا على هذا لبيان عظم أمر المُشاحنة، أن تحمل في قلبك الشحنة للمسلمين، أنا لا أقول إنّ سلامة الصدر تعني ترك الأمر بالمعروف، وأنّ سلامة الصدر تعني ترك النهي عن المُنكر، أو أنها تعني ترك النصيحة، أبدأ، لكن لا تحمل في قلبك، لا تكن مُستفزّاً للآخرين، لا تتشاحن مع الناس، انصح بما تراه الحق وبين الحق للناس دون أن تستفزه.

مرّ سيدنا عُمر على قوم قد أشعلوا ناراً، فقال: "السلام عليكم يا أهل الضوء" قال خادمه: وكره أن يقول: يا أهل النار، اختار يا أهل الضوء، اختر العبارة المُناسبة.

النبي صلى الله عليه وسلم كان مع زوجته عائشة رضي الله عنها، انظروا إلى الجمال:

{ عَنْ عَطَاءٍ، قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَعُثَيْبُ بْنُ عُمَيْرٍ عَلَى عَائِشَةَ فَقَالَتْ لِعُثَيْبِ بْنِ عُمَيْرٍ: قَدْ آتَى لَكَ أَنْ تَزُورَنَا فَقَالَ: أَقُولُ يَا أُمّةُ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ: زُرْ عِيّاً تَزِدُّ حُبّاً قَالَ: فَقَالَتْ: دَعُونَا مِنْ رِطَانَتِكُمْ هَذِهِ قَالَ ابْنُ عُمَيْرٍ: أَخْبَرَنَا بِأَعَجَبِ شَيْءٍ رَأَيْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَسَكَتَتْ ثُمَّ قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةٌ مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: **يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أُنَعِّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي** قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلََّ حِجْرَهُ قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلََّ الْأَرْضَ فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَدِّئُهُ بِالصَّلَاةِ فَلَمَّا رَأَاهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ تَبْكِي وَقَدْ عَقَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ آيَةً، وَبَلََّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ} {آل عمران: 190} الآية كلها { (صحيح ابن حبان)

هل يستأذن رجل زوجته أن يقوم لعبادة الله؟! للنفل وليس للفريضة **(يا عائشة ذريني أُنَعِّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي)** لعلها تُريد في هذه الليلة بجوارها، ماذا قالت عائشة؟ لو قالت له أذن لك كأنما جفته، فم لا حاجة لي بك، ولو قالت له لا أذن لك فقد منعه مما يُحب، قالت: **(والله إِنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ)** هذا الجواب الجميل الذي يُنمّي العلاقة الطيبة بين الناس **(وقل لعبادي يقولوا النبي هي أحسن)** سلامة الصدر لا تعني ترك الأمر بالمعروف ولا النهي عن المُنكر، ولكن تعني أن يعلم الآخر أنك تُحبه، أنك حريص عليه، أنك لا تُريد به شرّاً تُريد به الخير، النبي صلى الله عليه وسلم يُردف مُعاداً خلفه ويقول:

{ كان معاذٌ يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيؤمّننا قال مرّة: ثم يرجع فيصلّي بقومي فأخّر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الصلوة وقال مرّة: العشاء فصلّي معاذٌ مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء يؤمّ قومه، فقرأ البقرة، فاعتزل رجلٌ من القوم فصلّي، فقيل: ناقضت يا فلان! فقال: ما ناقضت، فأنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إنّ معاذاً يصلي معك، ثم يرجع فيؤمّننا يا رسول الله، وإنّا نحن أصحاب نواصيخ، ونعمل بأيدينا، وإنه جاء يؤمّننا فقرأ بسورة البقرة! فقال: **يا معاذ، أفئان أنت؟! أفئان أنت؟! اقرأ بكذا اقرأ بكذا**، قال أبو الرّزّين ب {سبح اسم ربك الأعلى} {والليل إذا يغشى} وفي رواية: يا معاذ، لا تكن فئاناً، فإنّه يصلي وراءك الكبير والصّغير وذو الحاجة والمسافر {

(أخرجه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه)

وبقيت المحبّة قائمة.

رسول لله صلى الله عليه وسلم يقول:

{ ما أَظْلَمَ الخُضْرَاءُ ولا أَقْلَمَ الغُبراءُ من ذي لهجَةٍ أَصدَقَ من أبي دَرٍّ {
(أخرجه الطبري والترمذي وابن ماجه وأحمد)

أبو دَرٍّ رضي الله عنه وأرضاه.

{ أَنَّ أبا دَرٍّ وبِلَالًا تَغَاصَبَا وَتَسَايَا وفي ثُورَةِ الغُصْبِ قال أبو دَرٍّ لبِلالٍ: يا ابنَ السَّودَاءِ فشكاه بِلالٌ إلى النبيِّ فقال النبيُّ لأبي دَرٍّ: أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ إِنَّكَ
أَمْرُؤُ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ {

(أخرجه البخاري ومسلم)

ويُقي رسول الله يُحبُّ أبا دَرٍّ، ويُقي أبو دَرٍّ رضي الله عنه يُحبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ينبغي أن تكون سلامة الصدر مع كل مُسلم ممن صَحَّتْ عقيدته واستقام سلوكه:

سلامة الصدر يا كرام قبل أن ندخل رمضان، مع الأرحام، مع الناس، مع الأصدقاء، مع المسلمين، ليس مع أبناء مدرستك، ولا مع أبناء مسجدك، ولا مع أبناء عقيدتك الصَّيِّفَةِ التي تعتقدها، وإنما مع كل مُسلمٍ ممن صَحَّتْ عقيدته واستقام سلوكه، سلامة الصدر مطلوبة، لا نستقبل رمضان وفي قلوبنا غِشٌّ على أحدٍ من المسلمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا
رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (10)

(سورة الحشر)

يصفُ ربُّنا حال أهل الجَنَّةِ، انظروا إلى هذا الوصف العظيم، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَتَرَعْنَا مَا فِي صُذُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (47)

(سورة الحجر)

تأمل حاله صلى الله عليه وسلم حين ضربه قومه فأسالوا الدم على وجهه:

{ كَأَنِّي أَنْظِرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ صَرَبَتْهُ قَوْمُهُ فَأَذْمَوْهُ، وَهُوَ يَمَسُخُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ ويقولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي
فإنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ {

(أخرجه البخاري ومسلم)

انظر إلى يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، انظر إلى سلامة صدره، ألقوه في الجُب، فَرَقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِيهِ، دخل السجن بسبيهم، فلَمَّا مَكَّنَهُ اللهُ تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ يَوْمَ يَكْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92)

(سورة يوسف)

لَمَّا جَاءَ أَبُوهُ مَعَ إِخْوَتِهِ مَاذَا قَالَ؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ ۖ إِنَّ تَرْغَ الشَّيْطَانِ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)

(سورة يوسف)

انظروا إلى هذه العبارات الثلاث: (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ) أيهما أعظم السجن أم الجُب؟ السجن احتمال النجاة وارد، أمَّا الجُب فكان احتمال النجاة قريباً من الصفر، ما أراد أن يُذكرهم بجريمتهم (وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ).

(وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ) ما أراد أن يقول لهم: بعد أن فُهرتم بالجوع جئتم إليّ، قال: (وَجَاءَ بِكُمْ مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ ۖ إِنَّ تَرْغَ الشَّيْطَانِ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) فنسبَ ما حصل للمُسَبِّب الشيطان وليس للمباشر وهم إخوته، ما قال: من بعد أن فعلتم بي ما فعلتم، هذه سلامة الصدر، هذه مع مَنْ؟ مع كل مَنْ فعلوا ذلك، أفلا تتبّع صدورنا لإخوتنا المسلمين. أيها الإخوة الكرام: الصديق رضي الله عنه وأرضاه، لَمَّا تَكَلَّمَ مسطح بن أثانة في عرض ابنته عائشة أمّا رضي الله عنها، المُبْرَأة من فوق سبع سماوات لعن الله من سبّها وشتّمها، يوم تكلم في عرض ابنته وأشيع الخبر، وكان مسطح واحداً من هؤلاء الذين أشاعوا الخبر، وكان يُعطيه نفقة يُنفق عليه لأنه كان فقيراً، أقسم أبو بكر أن لا يُعطيه فأُنزل الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَا يَأْتِلِ أُولُو الْعِمْلِ مِنْكُمُ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَصْغُرُوا
وَلْيَصْغُرُوا ۖ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (22)

(سورة النور)

فيكى أبو بكر وقال: بلى يا رسول الله أحب أن يغفر الله لي، وأعاد النفقة إلى مسطح.

أيها الإخوة الكرام: هذا أبو دُجانة دخلوا عليه وهو مريض، فأروا وجهه يتهلل، فكَلَّمُوهُ في ذلك، أنت مريض ووجهك يتهلل؟! فقال: "ما من عمل شيءٍ أوثق عندي من اثنتين، كنت لا أتكلّم فيما لا يعني، والأخرى كان قلبي سليماً للمسلمين"، لا أجهل غيلاً على أحد.

التفكير خارج الصندوق:

هذا غلبة بن زيد، لَمَّا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النفقة، لم يجد هذا الصحابي شيئاً يُنفقه فيكى، انظروا هذا تُسمّيه التفكير خارج الصندوق، يعني أنت إنسان تقول أنا ما عندي شيء أفعله، انظروا ماذا فعل هذا الرجل، كيف فكر خارج الصندوق فقال:

{ كان غلبة بن زيد رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما حضّ النبي صلى الله عليه وسلم الناس على الصدقة قال غلبة: اللهم إنه ليس عندي ما أتصدق به إلا وسادة حشوها ليف ودلو أستقي به، اللهم إني أتصدق بعرضي على من ناله من خليفك، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى: أين المتصدق بعرضه البارحة؟ فقام غلبة بن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد قبل صدقتك }

تصدّقت على المسلمين بأي مظلمة أصابني فيها، من مالي أو جسدي أو عرضي، ثم أصبح الرجل.

الآن أيّها الكرام: يتنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل هذا الرجل، انظروا إلى عظيم فعله، كم من صحابي تصدّق بالمال؟ وكله عظيم عند الله، لكن يتنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويُعلم به ما كان من هذا الصحابي، فيُصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: **(أين المنتصدّق يعرضه البارحة؟ فقام عليه بن زيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله قد قبل صدقتك)** زكاة مقبولة عند الله، قبلها الله تعالى.

أيّها الكرام: كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: **"لا تظن بكل كلمة خرجت من أحيك المؤمن شرّاً وأنت تجد لها في الخير محملاً"** ابحت عن المحفل الخبّر في كلمة سمعتها، بعض الناس بالعكس يبحث عن الشر في كل كلمة تُقال، كان الشافعي رضي الله عنه يقول: **"من أراد أن يقضي له الله بخير فليُحسّن ظنه بالناس"**.

ينبغي أن يدخل علينا رمضان ونحن سليمو الصدر تجاه إخواننا المسلمين:

إخواني لا تُريد أن يدخل علينا رمضان، إلا ونحن سليمو الصدر تجاه إخواننا المسلمين، لا أقول: أبناء مدرستنا، ولا أبناء مسجدنا، ولا أبناء حيّنا، وإنما يكون صدرنا سليماً تجاه كل مسلم، عاهدوا الله قبل رمضان، أن تُقلع عن كتابة التعليقات على وسائل التواصل، التي تُشعل الخلاف، وتؤدي إلى الشّباب والشتّم، والغيبة والتميمة، اعرض الحقّ وتكلم به، وانصَحْ دون أن تُكفّر المسلمين، ودون أن تُبدّعهم، ودون أن تُفسّدهم، ودون أن تُسيء الظنّ بهم، دون أن تُهدّر أعمالهم السابقة، دون أن تغتال شخصياتهم، كن مُنصفاً فيما تقول، دعونا ننزّل مُنعة الاستفزاز إرضاءً لله، ثم نستمتع بسلامة الصدر، فهي والله أعظم مُنعة، وأعظم سعادة، ولننقِذ العزم جميعاً على التوبة قبل رمضان، حتى إذا دخل رمضان، كنّا مع الله تعالى في حالٍ آخر، فتلقينا فيوضات هذا الشهر الكريم من أول يومٍ فيه.

أيّها الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزن عليكم، واعلموا أنّ ملك الموت قد تخطّأنا إلى غيرنا وسيخطئ غيرنا إلينا فليتنّخّذ حذرنا، الكيّس من دان نفسه وعمل لقا بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمتّع على الله الأماني، واستغفروا الله.

الحمد لله ربّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليّ الصالحين، اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

الدعاء:

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إنك يا مولانا سميعٌ قريبٌ مجيبٌ للدعوات.

ربّنا لا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، إنك غفورٌ رحيم، ربّنا تجاوز عتاً وعن إخواننا واغفر لنا ولهم يا أرحم الراحمين.

اللهم لا يأتي رمضان علينا إلا وقد سلّمت صدورنا، اللهم لا تجعل في قلوبنا غشاً لأحدٍ من المسلمين يا أرحم الراحمين.

اللهم بلّغنا رمضان وأنت راضٍ عتاً يا أكرم الأكرمين.

اللهم إنّنا نسألك الجنّة وما قرّب إليها من قولٍ وعمل، ونعوذ بك من النار وما قرّب إليها من قولٍ وعمل.

اللهم إنّنا نسألك رضاك والجنّة، ونعوذ بك من سخطك والنار، يا عزيز ويا غفار.

اللهم برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله يا أرحم الراحمين، لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

اللهم إنّنا نسألك لبلادنا أمناً وأماناً، ونسألك للقائمين عليها أن يعملوا بكتابك ونُسخة نبيّك صلى الله عليه وسلم.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشّده، يُعز فيه أهل طاعتك ويُهدى فيه أهل عصيانك، ويؤمّر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المُنكر.

اللهم أهلكنا في غرّة وفي كل مكانٍ يُذكر فيه اسمُك يا الله، كُن لهم عوناً ومُعِيناً، وناصرّاً وحافظاً ومؤيداً وأميناً.

وصلّى إلهي وسلّم وبارك على نبينا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين.